ROUTE
EDUCATIONAL & SOCIAL SCIENCE JOURNAL
ISSN: 2148-5518

Volume 7, Issue 4, April 2020, p. 495-528
İstanbul / Türkiye

Article Information

Article Type: *Research Article*

This article was checked by iThenticate.

Article History:
Received
12/03/2020
Received in revised form
02/04/2020
Available online
15/04/2020

IDEOLOGICAL SIGNIFICANCE IN THE VERSES IN WHICH THE ALMIGHTY SAID: (SAY: HAVE YOU SEEN)

Dr. Mohammed.M.DAWOOD[1]

Abstract

Ideological significance is of great importance for Muslim scholars, in order to determine the rules and foundations of a correct belief derived from the Great Qur'an. To be a factor in uniting the Islamic nation and its basic principles and out of it the difference and disagreement. There is no clearer and more straightforward path way than Qur'an in determining the doctrine of the belief attached to it and its clear and understandable way of presenting the evidence and proverbs that establish a straight doctrine that is far from whims, opinions and discord. So this research came to show the doctrinal significance through God Almighty to our Prophet Muhammad (may God's prayers and peace be upon him) and guide him on how to argue with the infidels and polytheists through the evidence that will appear to us in the verses mentioned by the Almighty in it ((Say you have seen)). The method of presentation in the verses under discussion was the method of declarative questioning and denial questioning to present mental and transportation evidence to the infidels and polytheists. As for the mental evidence, it was in the form of a comparison between the creation of God Almighty and his behavior in the heavens and the earth and their conditions, and what they worship from idols that do not have any harm or benefit. As for the transportation evidence, it was in the form of a challenge to the infidels and polytheists to bring the traces of a science or book that they inherited from their fathers to be a witness to them in their worship of these idols.

[1] Middel Technical university,Iraq, m.74.s.a.2010@gmail.com

The research included an introduction, three topics, and a conclusion. As for the first topic, it included three demands:
The first: - Definition of semantics, language and idiom.
The second: - Definition of the science of beliefs language and idiom.
The third: - Definition of the verses in which the Almighty says:(Say: Have you seen)?
The second topic includes three demands:
The first: Explaining the verses that indicate the existence of the maker And his condition is the same.
Second: Explaining the verses indicating the existence of the maker with the difference of day and night.
Third: Explaining the verses indicating the existence of the maker in the conditions heavens and the earth and their conditions.
The third topic includes: - Conclusions, Recommendations.
This is what I will present in this research. I ask God Almighty to grant me the rightness and forgive my slips.
Key words: doctrinal significance ,(say you see), the existence of the maker.

الدلالة العقدية في الآيات التي ورد فيها قوله تعالى: "قل أرأيتم"

د. مُحَمَّد صميدعي– الجامعة التقنية الوسطى– العراق

الملخص

إن للدلالة العقدية أهمية كبيرة عند علماء المسلمين وذلك لتقرير قواعد وأسس العقيدة الصحيحة مستقاة من القرآن العظيم، لتكون عاملا في توحيد الامة الاسلامية ومبادئها الاساسية، وخروجا بها عن الخلاف والاختلاف. وليس هنالك ثمت طريق أوضح وأقوم من القرآن في تقرير مبدأ العقيدة الحقة وأسلوبه الواضح والمفهوم في عرض الدلائل والامثال التي تؤسس لعقيدة مستقيمة بعيدة عن الأهواء والآراء والخلاف. فكان أسلوب العرض في الآيات قيد البحث، هو أسلوب الإستفهام التقريري والإستفهام الإنكاري لعرض الأدلة العقلية والنقلية على الكفار والمشركين. أما الأدلة العقلية فكانت على صورة مقارنة بين خلق الله تعالى وتصرفه في السماوات والأرض وأحوالها، وبين ما يعبدون من أصنام لا تملك من ضر ولا نفع. وأما الأدلة النقلية فكانت على صورة تحد للكفار والمشركين على أن يأتوا

بآثارة من علم أو كتاب ورثوه عن آبائهم ليكون شاهدا لهم على عبادتهم لهذه الأصنام. فجاء هذا البحث لبيان الدلالة العقدية من خلال خطاب الله عز وجل لنبيه سيدنا مُحَمَّد(ﷺ) وتوجيهه إلى كيفية محاججة الكفار والمشركين من خلال الادلة التي ستظهر لنا في الآيات الوارد قوله تعالى فيها: "قل أرأيتم". وقد اشتمل البحث على مقدمة وثلاث مباحث، أما المبحث الأول فقد اشتمل على ثلاث مطالب:

- الأول: التعريف بعلم الدلالة لغة واصطلاحا.
- الثاني: التعريف بعلم العقائد لغة واصطلاحا.
- الثالث: التعريف بالآيات التي ورد فيها قوله تعالى: (قل أرأيتم).

أما المبحث الثاني فقد اشتمل على ثلاثة مطالب:

- الأول: بيان الآيات الدالة على وجود الصانع بنفس الإنسان وأحواله.
- الثاني: بيان الآيات الدالة على وجود الصانع من خلال اختلاف الليل والنهار.
- الثالث: بيان الآيات الدالة على وجود الصانع من خلال السماوات والأرض وأحوالها.

أما المبحث الثالث فقد اشتمل على الإستنتاجات والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: الدلالة العقدية، (قل أرأيتم)، وجود الصانع.

المقدمة:

أولاً: إشكالية الدراسة: تكمن إشكالية الدراسة في الإجابة عن السؤال التالي:

- ما هو الاسلوب الصحيح الناجع في محاججة منكري وجود الله تعالى؟ والاجابة عن هذه الاشكالية تكون من خلال الاجابة عن الاسئلة الفرعية التالية:
- ما أبرز الادلة بوجه الخصوص التي وردت في الآيات قيد البحث؟ ولماذا؟
- هل هناك علاقة بين الادلة ومنكري وجود الله تعالى؟

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع: هنالك عدت أسباب دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع:

- أهمية علم العقائد، إذ هو أصل الدين والعبادة التي لا يصح الدين إلا بها.
- بيان أهمية الادلة التي ظهرت في الآيات محل الدراسة.
- بيان العلاقة بين منكري وجود الله تعالى والادلة المستخدمة إزاء كل منهم.
- اختيار الاسلوب المناسب في الحوار والمحاجة.

ثالثاً: أهمية البحث:

إن للدلالة العقدية أهمية كبيرة عند علماء المسلمين وذلك لتقرير قواعد وأسس العقيدة الصحيحة مستقاة من القرآن العظيم، لتكون عاملا في توحيد الامة الاسلامية ومبادئها الاساسية، وخروجا بها عن الخلاف والاختلاف. وليس هنالك ثمت طريق أوضح وأقوم من القرآن في تقرير مبدأ العقيدة الحقة وأسلوبه الواضح والمفهوم في عرض الدلائل والامثال التي تؤسس لعقيدة مستقيمة بعيدة عن الاهواء والآراء والخلاف. فجاء هذا البحث لبيان الدلالة العقدية من خلال خطاب الله عز وجل لنبيه سيدنا مُحَمَّد(ﷺ) وتوجيهه إلى كيفية محاججة الكفار والمشركين من خلال الادلة التي ستظهر لنا في الآيات الوارد قوله تعالى فيها: "قل أرأيتم".

رابعاً: الدراسات السابقة:

هنالك عدت دراسات وبحوث علمية تناولت الموضوع من عدة زوايا:

- منها تناول موضوع أسلوب الحوار بشكل عام في القرآن الكريم. على سبيل المثال لا الحصر (اسلوب الحوار في القرآن الكريم. خصائصه الاعجازية وأسراره النفسية، للدكتور عبد الله الجيوسي.
- ومنها تناول الدلالة لموضوعات في القرآن الكريم أمثال:
  - الدلالات العقدية للماء في القرآن الكريم/ الدكتور مُحَمَّد بن عبد الله السحيم.
  - الدلالة الايحائية لطائفة من ألفاظ الزمان في القرآن الكريم / الدكتور كاصد ياسر الزيدي.
  - الدلالة اللغوية في الآيات الواردة في أسماء الله الحسنى/ ايمان مُحَمَّد أمين، حسن بن عامر.

وعلى حد علم الباحث لم يتم دراسة الدلالة العقدية لتركيب لفظي معين وآيات معينة كما هو الحال في هذه الدراسة.

خامساً: خطة البحث: قام الباحث بتقسيم البحث إلى مقدمة وثلاث مباحث، أما المقدمة فقد اشتملت على اشكالية الدراسة وأسباب اختيار الموضوع وأهمية الموضوع والدراسات السابقة وخطة البحث. أما المبحث الأول فقد اشتمل على ثلاث مطالب:

- الاول: التعريف بعلم الدلالة لغة واصطلاحا.
- الثاني: التعريف بعلم العقائد لغة واصطلاحا.
- الثالث: التعريف بالآيات التي ورد فيها قوله تعالى: "قل أرأيتم".

أما المبحث الثاني فقد اشتمل على ثلاث مطالب:

- الاول: بيان الآيات الدالة على وجود الصانع بنفس الإنسان وأحواله.
- الثاني: بيان الآيات الدالة على وجود الصانع من خلال اختلاف الليل والنهار.
- الثالث: بيان الآيات الدالة على وجود الصانع من خلال السماوات والأرض وأحوالها.

والمبحث الثالث اشتمل على الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول: تعريفات الدراسة

المطلب الأول: تعريف الدلالة لغة واصطلاحا

أولاً- لغة: الدلالة مصدر الدليل(بالفتح والكسر)[1]، من دلّ، والدلُّ دلال المراءة اذا تدلّلت على زوجها تريه جراءة عليه في تغنج وتشكل كأنها تخالفه وليس بها خلاف[2]، دلّ الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بإمارة تتعلمها والاخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم دلَلْتُ فلانا على الطريق، والدليل الامارة في الشيء وهو بين الدَّلالة والدِّلالة، والاصل الاخر قولهم تدَلْدَلَ الشيء اذا اضطرب[3]،والدليل من المبالغة ك(عالم وعليم، وقادر وقدير) ثم سمي الدليل دلالة لتسمية الشيء بمصدره، والدلالة أعم من الارشاد والهداية، ...، ويجمع الدليل على أدلة لا على دلائل إلا نادرا ك(سليل وسلائل) على ما حكاه أبو حيان الاندلسي[4].

وفي الاصطلاح: الدليل هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، وحقيقة الدليل هو: ثبوت الاوسط للأصغر واندراج الاصغر تحت الاوسط، والدليل الالزامي ما سلم عند الخصم سواء كان مستدلا عند الخصم أو لا[5]، والدليل عند الاصولي: هو ما يمكن التوصل به بصحيح النظر فيه الى مطلوب خبري، وعند الميزاني: هو المقدمات المخصوصة نحو: العالم متغير وكل متغير فهو حادث[6]. وقد وضع اهل اللغة ضابطا مفاده: ما كان للإنسان اختيار في معنى الدلالة فهو بفتح الدال، وما لم يكن له اختيار في ذلك فبكسرها مثاله: اذا قلت: دَلالة الخير لزيد، فهو بالفتح أي له اختيار في الدلالة على الخير، واذا كسرتها فمعناه حينئذ صار الخير سجية لزيد فيصدر منه كيف ما كان. ومنه الاستدلال: هو تقرير ثبوت الاثر لإثبات المؤثر، والتعليل: هو تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الاثر[7].

ثانياُ- اصطلاحا: الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكناية والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حيّ، قال تعالى: (فلما قضينا عليه الموتَ ما دلّهم على موته إلا دابّة الأرض تأكل منسأته)[سبأ: 14][8].

والدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الاول هو الدال، والثاني هو المدلول. وعين دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الاصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص. ووجه ضبطه ان الحكم المستفاد من النظم أما ان يكون ثابتا بنفس النظم أو لا، والاول إن كان النظم مسوقا له فهو العبارة وإلا فالإشارة، والثاني إن كان الحكم مفهوما من اللفظ لغة فهو الدلالة، او شرعا فهو الاقتضاء. فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا إجتهادا، فنقول لغة أي يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل، كالتأفف في قوله تعالى: (فلا تقل لهما أُفّ)[الإسراء: 23]، فيتوقف به على حرمة الضرب وغيره مما فيه نوع من الاذى بدون الاجتهاد[9].

المطلب الثاني: التعريف بعلم العقائد

أولاً- لغة: عقدت الحبل عقدا ونحوه فانعقد، والعقدة موضع العقد من النظام ونحوه، وتعقّد السحاب اذا صار كأنه عقد وضروب مبني، ...، وعقد اليمين أن تحلف يمينا لا لغو فيها ولا استثناء فيجب الوفاء بها، وعقدة كل شيء إبرامه وعقد النكاح وجوبه وعقدة البيع وجوبه، وعقد قلبه على شيء لم ينزع عنه[10]. وعقد: العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شدّ وشدة وشوق وإليه ترجع فروع الباب، من ذلك عقد البناء والجمع أعقاد وعقود، ...، وعقدت الحبل أعقِده عقدا وقد إنعقد وتلك هي العقدة، ...، وعاقدته مثل عاهدته وهو العقد والجمع عقود،

قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)[المائدة: 1]، والعقد عقد اليمين ومنه قوله تعالى: (بما عقّدتم الأيمان)[المائدة: 89]، وعقدة النكاح وكل شيء وجوبه وإبرامه[11]، وعقد الحبل والبيع والعهد يعقده شدّه، وعقد عنقه إليه أي لجأ، والعقد الضمان والعهد[12].

ثانياً– اصطلاحا: العقد: الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو: عَقْد البيع والعهد وغيرها، فيقال: عاقَدْتُه وعَقَدْتُه وتَعاقَدْنا وعَقَدْت يمينه، قال: (والذين عقدت أيمانكم)[النساء: 33، وقُرِئ: وعاقَدَت أيمانكم، وقال: (بما عقّدتم الأيمان)[المائدة: 89]، وقُرِئ: بما عَقَدْتم الإيمان، ومنه قيل لفلان عقيدة، ...، والعقد مصدر استعمل اسما فجمع نحو: (أوفوا بالعقود)[المائدة: 1] [13]. والعقد ربط أجزاء التصرف بالإيجاب والقبول شرعا[14]، والعقد إلزام على سبيل الإحكام[15]. أما العقيدة فهي مفرد جمعه عقائد: وهي ما يقصد فيه نفس الاعتقاد ودون العمل[16]. وعلم العقائد سمي بهذا الاسم: لأنه يتكفل ببحث العقائد الدينية وإثباتها بالأدلة اليقينية والدفاع عنها ضد العقائد والأفكار المخالفة لها[17]، وهي أحد أسماء علم اصول الدين . من خلال التعريفات السابقة نجد أن الدلالة العقدية نعني بها: دلالة اللفظ(قل أرأيتم) من حيث المعنى والسياق والموضوع فيما يخص العقيدة أو أصول الدين، وكيف وجّه الله تعالى نبيه(ﷺ) إلى الأدلة من خلال الآيات التي من شأنها إلزام الخصم بها وخضوعه لها، بما يتناسب ومداركه الفكرية والعقلية والبيئية، فكانت أسلوبا ناجحا وأيضا مستدام.

المطلب الثالث: التعريف بالآيات الشريفة

أولاً: الرؤية لغة: الرؤية لغة على خمسة أوجه:

- الرأي رأي القلب ويجمع على آراء، وتقول: ما أضلّ آراءهم على التعجب، ...، وتقول: من رأي القلب: إرْتَأيت[18]، ورأي: الراء والهمزة والياء أصل يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة، فالرأي ما يراه الانسان في الأمر وجمعه آراء[19].
- بمعنى المعاينة بالجارحة: والرِّئْيُ: ما رَأَت العين من حال حسنة، والعرب تقول: رَيْتُهُ بمعنى رَأَيْتُه، وتراءى القوم اذا رأى بعضهم بعضا، ورأى فلان يُرائي وفعل ذلك رئاء الناس وهو أن يفعل شيئا ليراه الناس. والرأي اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن، وعلى هذا قوله: (يرونهم مِثليهم رأي العين)[آل عمران: 13][20]، أي

يظنونهم بحسب مقتضى مشاهدة العين مثليهم، تقول: فعل ذلك رأي عيني، وقيل رَاءة عيني[21]، ورَأَيت بعيني رُؤْيَة ورَأَيْتُه رَأْي العين أي حين يقع البصر عليه[22].

- بمعنى العلم: يرى يعني يعلم فذلك قوله: (ويرى الذين أُوتوا العلم)[سبأ: 6]، وقال: (لِتحكم بين الناس بما أراك الله)[النساء: 105]، يعني ما علمك الله في القرآن[23]. والرؤية إن كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام كقوله تعالى: (أفرأيتم الماء الذي تشربون)[الواقعة: 68][24].
- بمعنى الفكر والنظر: ألم تَرَ يعني: ألم تنظر إلى فعلهم،فذلك كقوله: (ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب)[النساء:44،51]، يقول: ألا تنظر إلى فعلهم[25]، والرَوِيَّة والتروية التفكر في الشيء والإمالة بين خواطر النفس في تحصيل الرأي، والمرتَوي والمتَرَوّي المتفكر، وإذا عُدّيَ رأيت بالى اقتضى معنى النظر المؤدي إلى الاعتبار نحو: (ألم ترَ إلى ربّكَ)[الفرقان:45][26]، وارْتَأينا في الأمر، وتَراءَينا نظرناه[27].
- بمعنى الخبر: ألم تَرَ: خبر يخبر عن شيء قد مضى، ولم يعاين ذلك النبي(ﷺ) فذلك قوله: (ألم ترَ إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربّه)[البقرة: 258]، يعني ألم تخبر عن النمرود الجبار، كقوله: (ألم ترَ كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل)[الفيل:1]، يعني ألم تخبر كيف فعل[28]. وقال المفسرون في قوله: (ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب)[النساء:44،51]، أي ألم تخبروا. وكذلك أكثر ما في القرآن[29].وفي الحديث: أَرَأيتُك، وأَرَأيتُكما، وأَرَأيتُكم: وهي كلمة تقولها العرب بمعنى أخبرني، وأخبراني، وأخبروني والتاء مفتوحة. وكذلك ألم تر الى كذا: كلمة تقال عند التعجب[30]. والضابط في ذلك: إذا دخلت الهمزة على رأيت امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القلب وصارت بمعنى أخبروني، ومنه قوله تعالى: (أرأيت الذي ينهى.عبدا إذا صلى)[العلق:9،10][31].

نخرج من تعريف الرؤية لغة واصطلاحا، بأن عبارة: "قل أرأيتم" لا تخرج عن:

- إذا عُديت الرؤية بـ(إلى) كانت بمعنى: النظر المؤدي إلى الاعتبار[32].
- اذا دخلت الهمزة على (رأيت) امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القلب وصارت بمعنى (أخبروني)[33].

- وأعلم أن الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان، وإنكار له لِمَ كان، وتوبيخ لفاعله عليه، ...، وقد يكون أن يُراد إنكار الفعل من أصله، ثم يُخرج اللفظ مخرجه اذا كان الإنكار في الفاعل. مثال ذلك قوله تعالى: (قُل آلله أذن لكم)[يونس:59]،(الإذن) راجع إلى قوله: (قُل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا)[يونس:59]، ومعلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى إذنٌ فيما قالوه من غير أن يكون هذه الإذن قد كان من غير الله، فأضافوه إلى الله. إلا أن اللفظ أُخرج مَخرجه اذا كان الامر كذلك، لان يجعلوا في صورة من غلط فأضاف الى الله تعالى إذنا كان من غير الله، فإذا حُقّق عليه إرتدع(34).

ثانياً: الجانب الإحصائي:

1- تناول البحث الآيات التي ورد فيها قول الله تعالى: "قل أرأيتم"، فوردت هذه العبارة في أحد عشر آية في سبع سور وهي كما يلي: سورة الانعام، وسورة يونس، وسورة القصص، وسورة فاطر، وسورة فصلت، وسورة الاحقاف، وسورة الملك. وان الملفت للنظر أن جميع هذه السور مكية. وفيما يلي جدول يبين هذه الآيات:

ت	الآية	رقم الآية	السورة
1	(قُل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به أنظر كيف نصرّف الآيات ثم هم يصدفون)	46	الأنعام
2	(قُل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون)	50	يونس
3	(قُل أرأيتم مّا أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قُل آلله أذن لكم أم على الله تفترون)	59	
4	(قُل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون)	71	القصص
5	(قُل أرأيتم إن جعل الله عليكم النّهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون)	72	

6	(قُل أرأيتم شُركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شِرك في السماوات أم آتيناهم كتابا فهم على بينت منه بل إن يعدُ الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا)	40	فاطر
7	(قُل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضلُّ ممن هو في شِقاق بعيد)	52	فصلت
8	(قُل أرأيتم مّا تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شِرك في السماوات إئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين)	4	الأحقاف
9	(قُل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين)	10	
10	(قُل أرأيتم إن أهلكنيَ الله ومن معي أو رحمنا فمن يُجير الكافرين من عذاب أليم)	28	الملك
11	(قُل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين)	30	

2- هذه إحصائية للتركيب اللفظي "قل أرأيتم" ومرادفاته وهي كما مبين فيما يلي[35]:

جدول رقم (1) يبين صور كلمة (قل) في المصحف الشريف

ت	اللفظ	التكرار	عدد السور
1	قُل	304	54
2	وَقُل	21	12
3	فَقُل	17	13
4	قُلْتَ	2	2
5	تَقُل	1	1
المجموع		345	82

جدول رقم (2) يبين صور كلمة (الرؤية) في المصحف الشريف

ت	اللفظ	التكرار	عدد السور
1	تَرَ	31	17

2	تَرَوا	1	1
3	وَتَرَى	12	10
4	وَتَرَاهُم	2	2
5	فَتَرَى	5	5
6	فَتَرَاهُ	2	2
7	أَرَأَيْتَ	5	5
8	أَرَأَيْتَكُم	3	1
9	أَرَأَيْتُم	11	7
	المجموع	72	50

جدول رقم (3) يبين صور مرادف كلمة (الرؤية) وهو كلمة (النظر) في المصحف الشريف

ت	اللفظ	التكرار	عدد السور
1	أُنظر	9	5
2	فَأنظر	10	7
3	فَأنظروا	1	1
	المجموع	20	13

ثالثاً: الجانب الموضوعي:

من الملفت للنظر في الآيات قيد البحث أنها جميعها جاءت في سور مكية ومن المعلوم أن أغلب إن لم يكن كل ما نزل في مكة جاء لتقرير قضية التوحيد والبعث وصدق الرسالة[36]، فكان موضوع هذه الآيات يدور حول الادلة التي تثبت هذه القضية من خلال توجيه الله تعالى نبيه الكريم(ﷺ) إلى الأدلة المناسبة والاسلوب الواضح في محاورة ومحاججة مشركي مكة وكفارهم كما سيأتي تفصيل ذلك قريبا.

رابعاً: بيان ما تعالجه السور قيد البحث من قضايا بشكل مختصر:

- سورة الأنعام : نزلت في مكة المكرمة إلا ثلاث آيات على الراجح، وقد أنزلت مرة واحدة وهي الوحيدة التي نزلت هكذا، ولعل الحكمة من ذلك قطع تعليل المشركين في قوله تعالى حكاية عنهم: (لولا نُزّل عليه القُرآن جُملة واحدة)[الفرقان: 32]، توهما منهم أن تنجيم نزوله يتأكد كونه كتابا. وهي بمقدار كتاب من كتبهم التي يعرفونها كالإنجيل والزبور(37). يقول الفخر الرازي في تفسيره: قال الأصوليون: هذه السورة اختصت بنوعين من الفضيلة: الاولى، أنها نزلت دفعة واحدة. الثانية أنها شيعها سبعون ألفا من الملائكة ، والسبب فيه أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين(38).

قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة لأنها في معنى واحد من الحجة. وإن تصرف ذلك بوجوه كثيرة وعليها بنى المتكلمون أصول الدين لأن فيها آيات بينات ترد على القدرية(39)، وغيرهم من الملل.

- سورة يونس: مكية على قول الجمهور إلا ثلاث آيات أو اثنتين. ابتدأت بمقصد إثبات رسالة النبي(صلى الله عليه وسلم) بدلالة عجز المشركين عن معارضة القرآن بأسلوب تعريضي دقيق بني على الكناية بتهجية الحروف المقطعة في أول السورة،...، وانتقل من ذلك إلى إثبات انفراد الله تعالى بالإلهية بدلالة أنه خالق العالم ومدبره، فأفضى ذلك إلى إبطال أن يكون لله شركاء في إلهيته والى إبطال معاذير المشركين بأن أصنامهم شفعاء عند الله(40).

- سورة القصص: مكية اشتملت على التنويه بشأن القرآن والتعريض بأن بلغاء المشركين عاجزون عن الإتيان بسورة مثله، وفيها تفصيل ما أجمل في سورة النمل من قصة سيدنا موسى(عليه السلام) والمقصود منه ما يتضمنه من زيادة الوعظ والعبر، وفيها تحدي المشركين بعلم النبي(ﷺ) بهذه القصص مع أنه أمي. وتحداهم بإعجاز القرآن وهديه مع هدي التوراة ، وأبطل معاذيرهم ثم أنذرهم بما حل بالأمم المكذبة رسل الله. وساق لهم أدلة على وحدانية الله تعالى(41).

- كذلك فصلت هذه السورة موقف القرآن من توبيخ المشركين على إنكارهم يوم القيامة من خلال الإخبار بإهلاك الكثيرين من أهل القرى بسبب ظلمهم والتساؤل عن شركاء الله يوم القيامة وما يدور بينهم وبين

عبدتهم من نقاش إنتهى بتبرئتهم من عبادتهم، وإيراد الأدلة المتضافرة لإثبات قدرة الله على الخلق والإيجاد والبعث والإعدام[42].

- سورة فاطر أو الملائكة: مكية بالإتفاق، إشتملت هذه السورة على إثبات تفرد الله تعالى بالإلهية، وعلى إثبات صدق النبي(ﷺ)، واثبات البعث والدار الآخرة، افتتاحها بـ(الحمد لله) مؤذن بأن صفات من العظمة ستذكر، وإن إجراء صفات الأفعال على اسم الجلالة من خلق السماوات والأرض والملائكة مؤذن بأن السورة جاءت لإثبات التوحيد وتصديق الرسول(ﷺ)[43].
- سورة فصلت: أو حم السجدة، أو السجدة، أو المصابيح، أو الاقوات. مكية بإتفاق، وإن موضوع هذه السورة مثل موضوع باقي السور المكية: وهو إثبات أصول العقيدة: الوحدانية، الرسالة والوحي، البعث والجزاء. سميت (فصلت) لإفتتاحها بقوله تعالى: (كتاب فُصّلت آياته)[فصلت:3]، وقد فصل الله تعالى فيها الآيات وأوضح الأدلة والبراهين على وجوده وقدرته ووحدانيته من خلق هذا الكون العظيم وتصرفه فيه، وتسمى أيضا: حم السجدة لأن رسول الله (ﷺ) عند قراءة أولها على زعماء قريش حتى انتهى إلى السجدة منها فسجد[44].
- وقد اشتملت على التنويه والإشارة إلى عجز الكفار عن معارضة القرآن، وزجر المشركين وتوبيخهم على كفرهم بخالق السماوات والارض مع بيان ما في خلقها من الدلائل على تفرده بالإلهية، وذكرت دلائل تفرد الله تعالى بخلق المخلوقات العظيمة كالشمس والقمر، ودلائل إمكان البعث ، وأنه واقع لا محالة، ولا يعلم وقته إلا الله تعالى[45].
- سورة الأحقاف: وهي مكية أيضا، افتتحت بما يشير الى إعجاز القرآن للاستدلال على أنه منزل من عند الله، والاستدلال بإتقان خلق السماوات والارض على التفرد بالإلهية، وعلى إثبات جزاء الأعمال، والإشارة إلى وقوع الجزاء بعد البعث، وأن هذا العالم صائر إلى فناء، وإبطال الشركاء في الإلهية والتدليل على خلوهم من صفات الإلهية وإثبات رسالة النبي(ﷺ)، واستشهاد الله بصدق الرسالة والدعوة بشاهد بني إسرائيل وهو عبد الله بن سلام[46].

- بدأت السورة بالحديث عن تنزيل الكتاب وهو القرآن من الله تعالى،...، ثم إقامة الأدلة على وجود الله والتوحيد والنبوة،...، ثم ختمت السورة بالتأكيد على قدرة الله تعالى على البعث، لأنه خالق السماوات والأرض وبأن تعذيب الكافرين بالنار حق كائن لا محالة[47].
- سورة الملك أو تبارك الذي بيده الملك، أو المانعة، أو المنجية، أو المجادلة، أو الواقية، كلها أسماء لهذه السورة. وقد ابتدأت بتعريف المؤمنين معاني من العلم بعظمة الله تعالى وتفرده بالملك الحق والنظر في إتقان صنعه الدال على تفرده بالإلهية،...، وإنه أقام نظام الحياة والموت لتظهر في الحالتين مجاري أعمال العباد في ميادين السبق إلى أحسن الأعمال ، وانفراده بخلق العوالم خلقا بالغا غاية الإتقان فيما تراد له، وأتبعه بالنظر في ذلك وبالإرشاد إلى دلائله الإجمالية وتلك دلائل على إنفراده بالإلهية، وتخلصا من ذلك إلى تحذير الناس من كيد الشياطين، والإرتباق معهم في ربقة عذاب جهنم، وأن في إتباع الرسول(ﷺ) نجاة من ذلك، وفي تكذيبه الخسران. وتنبيه المعاندين للرسول(ﷺ) إلى علم الله بما يحوكونه للرسول ظاهرا وخفية بأن علم الله محيط بمخلوقاته[48].
- إن السورة إثبات لوجود الله تعالى ووحدانيته ببيان مظاهر علمه وقدرته وإنذار بأهوال القيام وتذكير بنعم الله على عباده وربط الرزق بالسعي في الأرض ثم التوكل على الله تعالى[49].

المبحث الثاني

المطلب الأول: تمهيد

اعتمد الباحث في تصنيف الآيات قيد البحث على أساس الموضوع الذي تعالجه الآية والذي يمثل دليلا واضحا على وجود الخالق ووحدانيته من جهة، ومن جهة أخرى أنه أقرب ما يكون من عقل وفكر المخاطب لكي لا يبقى له أدنى فجوة أو هفوة قد يتلمسها للخروج من الحوار منتصرا. فكان الإنسان نفسه وما يكتنفه من أحوال وحاجات الدليل الناصع الذي لا مفر منه ولا يمكن التشكيك فيه، كما يقول الإمام الرازي(رحمه الله): لما كان اطلاع كل أحد على أحوال نفسه أشد من اطلاعه على أحوال غيره لا جرم قدم هذا الدليل على سائر الدلائل[50]. يعني أن الله تعالى

وجه رسوله(ﷺ) إلى هذا التدرج في عرض الأدلة حتى لا يكون للمخاطب حجة بعد البلاغ. لذلك سيكون تصنيف الآيات على ثلاث مجاميع:

المجموعة الأولى: بيان الآيات الدالة على الصانع بنفس الإنسان وأحواله:

ت	اسم الآية	رقمها
1	الأنعام	46
2	يونس	59
3	فصلت	52
4	الأحقاف	10
5	الملك	28

الآية الأولى قوله تعالى: (قُل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به أنظر كيف نصرّف الآيات ثم هم يصدفون) [الأنعام: آية 46]. ورد في هذه الآية الكريمة من الأدلة ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار، وإن من أقرب الأدلة إلى الإدراك والعقل ما يكون نابعا من القضية نفسها، حيث: أن أشرف أعضاء الإنسان هو السمع والبصر والقلب، فالأذن محل القوة السامعة والعين محل القوة الباصرة والقلب محل الحياة والعقل والعلم[51]. فلو سلبت هذه القوى من هذه الأعضاء لتوقفت حياة الإنسان وإختل أمره وهو ليس بقادر على منع سلبها. فأصبح من المعلوم بالضرورة أن الذي سلب هذه القوى هو الذي وضعها من قبل وهو الذي يحفظها من جميع الآفات والإسقام، وهو الله عز وجل مما يوجب التعظيم والثناء والعبودية له وحده[52]، وليس تلك الأصنام التي لا تستطيع دفع الضر عن نفسها فضلا عن غيرها، وبذلك فقد ثبت الدليل. فالآية تدل على: توحيد الله تعالى وأنه المتصرف في العالم الكاشف للعذاب والراد لما شاء بعد الذهاب وأن آلهتهم لا تغني عنهم شيئا[53].

مناسبة الدليل في الآية: يتبين للباحث مما سبق أن مناسبة الدليل في الآية الكريمة يظهر من عدة وجوه:

الأول: أشارة الآية الكريمة إلى الفارق الشاسع بين المشركين وأصنامهم من حيث امتلاك صفات وقوى لا تمتلكها أصنامهم بطرق مباشر وذلك من خلال تنبيههم إلى ما ينعمون به من سمع وبصر وقلب، فكيف يخضعون إلى ما لا يملك سمعا ولا بصرا ولا يغني من الحق شيئا.

الثاني: إذا ما أصاب إحدى هذه الصفات المرض فإنهم لا يستطيعون علاجها بعبادتهم للأصنام أو توسلهم بها وذلك أن من يستطيع رفع المرض هو الله سبحانه الذي يحفظها ويدفع عنها الأمراض. فثبت بذلك مدى ضعف وقصور أصنامهم فضلا عن ضعفهم وقصور عقولهم. فقد جرى الكلام مجرى التهديد والتخويف أختير فيه التهديد بإنتزاع سمعهم وأبصارهم وسلب الإدراك من قلوبهم لأنهم لم يشكروا نعمة هذه المواهب بل عدموا الانتفاع بها كما أشار إليه قوله آنفا: (ومنهم من يستمعُ إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا)[الأنعام:25]. فكان ذلك تنبيها لهم على عدم إجداء هذه المواهب عليهم مع صلاحيتها للإنتفاع وناسب هنا أن يهددوا بزوالها بالكلية إن داموا على تعطيل الإنتفاع بها فيما أمر به خالقها[54].

الثالث: أن الله تعالى وهب الإنسان قوة السمع وقوة البصر وقوة القلب من الفكر والفهم والإدراك لينعم بها فيتمكن من السمع والبصر والإدراك. فلما أمره بتوحيده وعبادته، عطل هذه القوى عن إدراك الحق وإتباعه عنادا وكبرا وكفرا، فأصبحت هذه الآلات وصفاتها حجة على الإنسان يوم القيامة لأنه اختار طريق الضلال وترك طريق الحق بنفس الآلات وصفاتها التي وهبها الله تعالى له.

قال تعالى: (قُل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا مّا تشكرون)[الملك:23]، فخص هذه الثلاثة بإلزام الحجة بسببها واستدعاء الشكر عليها، وقد قلنا أنه لا طائل في السمع والإبصار إلا بما يؤديانه إلى القلب ليكون القلب هو القاضي فيه والحاكم عليه[55].

الآية الثانية قوله تعالى: (قُل أرأيتم مّا أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قُل آلله أذن لكم أم على الله تفترون) [يونس: 59]: تضمنت أوائل سورة يونس إثبات قضية الوحي والنبوة بأدلة اشتملت عدت وجوه، وفي هذه الآية ذكر الله تعالى طريقا آخر في إثبات النبوة: وهو أن التشريع بالتحليل والتحريم هو حق الله تعالى وأن الأصل في الأرزاق والأشياء الإباحة، فتحريم بعض الأشياء وتحليل بعض مع تساويهما في الصفات والمنافع دليل على اعترافكم بصحة النبوة والرسالة، لأنه لم يقم لكم دليل عقلي ولا نقلي على هذا التمييز فهو منهج فاسد باطل، وإن ما عليه الأنبياء هو الحق والصواب[56].

يقول الإمام الرازي رحمه الله: إعلم أن الطريق إلى إثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام أمران:

- الأول: أن تقول إن هذا الشخص قد إدعى النبوة وظهرت المعجزة على يده، وكل من كان كذلك فهو رسول من عند الله حقا وصدقا، وهذا الطريق مما قد ذكره الله تعالى في هذه السورة وقرره على أحسن الوجوه في قوله: (وما كان هذا القرآنُ أن يُفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من ربِّ العالمين)[يونس: 37].

- وأما الطريق الثاني: فهو أن نعلم بعقولنا أن الإعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو؟ فكل من جاء ودعا الخلق إليه وحملهم عليه وكانت لنفسه قوة قوية في نقل الناس من الكفر إلى الإيمان ومن الإعتقاد الباطل إلى الإعتقاد الحق ومن الأعمال الداعية إلى الدنيا إلى الأعمال الداعية إلى الآخرة فهو النبي الحق الصادق والمصدق[57].

وفي معرض مناسبة الآية لما قبلها من الآيات، يقول الإمام الرازي:إعلم أن الناس ذكروا في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوها لا أستحسن واحدا منها والذي يخطر بالبال والعلم عند الله تعالى وجهان:

- الأول: أن المقصود من هذا الكلام ذكر طريق ثالث في إثبات النبوة. وتقريره أنه عليه الصلاة والسلام قال للقوم: إنكم تحكمون بحل بعض الأشياء وحرمة بعضها، فهذا الحكم تقولونه على سبيل الإفتراء على الله تعالى أو تعلمون أنه حُكمٌ حَكَمَ الله به. والأول طريق باطل بالإتفاق فلم يبق إلا الثاني، ثم من المعلوم أنه تعالى ما خاطبكم به من غير واسطة، ولما بطل هذا، ثبت أن هذه الأحكام إنما وصلت إليكم بقول رسول أرسله الله إليكم ونبي بعثه الله إليكم، ...، وهذا يدل على إعترافكم بصحة النبوة والرسالة، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يمكنكم أن تبالغوا هذه المبالغة العظيمة في إنكار النبوة والرسالة.
- الثاني: في حسن تعلق هذه الآية بما قبلها هو أنه عليه الصلاة والسلام لما ذكر الدلائل الكثيرة على صحة نبوة نفسه وبين فساد سؤالاتهم وشبهاتهم في إنكارها أتبع ذلك ببيان فساد طريقتهم في شرائعهم وأحكامهم، ...، والمقصود إبطال مذهب القوم في أديانهم وفي أحكامهم وأنهم ليسوا على شيء في باب من الأبواب[58].

فهذا الاستدلال من الطريق المسمى بالقَلب في علم الجدل[59]، يعني استخدام أدلة الخصم وحكمه ضده والاستدلال به عليه. ويقول الإمام أبو حيان الاندلسي: والمعنى أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه، أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه، فنبه بتوقيفهم على أحد القسمين وهم لا يمكنهم إدعاء إذن الله في ذلك فثبت افتراؤهم[60]. ويقول الزمخشري: وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل عنه من أحكام، وباعثة على وجوب الاحتياط فيه، وأن لا يقول أحد في شيء جائز إلا بعد إيقان وإتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت وإلا فهو مفتر على الله[61].

مناسبة الدليل في الآية:

ذكرنا فيما سبق أن السورة تعالج قضية الوحي والنبوة، وتم عرض الأدلة على إثبات ذلك على أتم صورة، ثم جاءت هذه الآية لتغير مسار الأدلة والاحتجاج إلى قضية أخرى بحيث لا يستطيعون إنكارها أو التملص منها لأنها تمس أسباب حياتهم الخاصة وما شرعوا لها من قوانين وشرائع فيتبين ذلك من عدت وجوه:

الأول: أن ما ينعمون به من رزق هو من عند الله وحده، وسببه ما ينزل من السماء من المطر الذي لا يستطيعون إنزاله أو تكثيره، فتقال الله تعالى لنبيه(ﷺ): قل لهم أخبروني من غير الله أنعم عليكم بهذه النعم؟

الثاني: أن ما شرعوا من حرمة وحل هل هو من عند أنفسكم أم من عند الله؟ فإن كان من عند أنفسكم فهذا ظلم وجور عظيم وافتراء على الله تعالى، وإن كان من عند الله فما حجتكم؟

الثالث: إن كانت شرعتكم من عند الله فلا بد من واسطة بينكم وبين الله وهي نبي أو رسول وقد ثبت أن العرب لم يبعث فيهم نبي قبل النبي(ﷺ) وها قد بُعث، فَلِم لم تؤمنوا به.

الآية الثالثة قوله تعالى: (قُل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضلُّ ممن هو في شِقاق بعيد) [فصلت: 52]: هذه الآية: إستئناف إبتدائي متصل بقوله: (إنّ الذين كفروا بالذّكر لما جاءهم وإنّه لكتاب عزيز)، إلى قوله: (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختُلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربّك لقُضي بينهم وإنهم لفي شكّ منه مُريب)[فصلت:41-45]، فهذا انتقال إلى المجادلة في شأن القرآن رجع به إلى الغرض الأصلي من هذه السورة وهو بيان حقية القرآن وصدقه وصدق من جاء به، وهذا استدعاء ليعملوا النظر في دلائل صدق القرآن مثل إعجازه وإتساقه وتأييد بعضه بعضا، وكونه مؤيدا للكتب قبله وكون تلك الكتب مؤيدة له[62]. بعد بيان وعيد المشركين عل الشرك ورجوعهم عنه في يوم القيامة وإظهار تبدل أحوال الإنسان بالتعاظم عند القوة والتصاغر والذل عند الضعف، أوجب الله تعالى التأمل والتفكير في آيات الله وفي الأنفس ليعلموا أن القرآن حق منزل من عند الله وأن الساعة آتية لا ريب فيها[63].

وعلى هذا: تبين الآية الكريمة مدى تمادي المشركين في الضلال ومع ذلك فقد أبرز الله وضوح الدليل من جهة وعمق ضلالهم من جهة أخرى. (قُلْ أرأيتُم) إن كان آي القرآن (مِن عِندِ اللهِ) أبرزه في صورة الاحتمال وهو من عند الله بلا شك ولكنه تنزل معهم في الخطاب[64]. وهذا التوجيه للنبي(ﷺ) من قبل الله أن يخاطب المشركين ويدعوهم وهم أهل الحصافة والفصاحة أن يرجعوا إلى أنفسهم ويتفكروا: يعني أن ما انتم عليه من إنكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور، وإنما هو قبل النظر واتباع الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا، فما أنكرتم أن يكون حقا وقد كفرتم به، فأخبروني من أضل منكم وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حقا فأهلكتم أنفسكم، وقوله تعالى: (مَن أضلّ مِمّن هو في شقاق بعيد)[فصلت: 52]، موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم[65].

ثم من المعلوم بالضرورة أن ليس العلم بكون القرآن باطلا علما بديهيا، وليس العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة علما بديهيا، فقبل الدليل يحتمل أن يكون صحيحا وأن يكون فاسدا، فبتقدير أن يكون صحيحا كان إصراركم على دفعه من أعظم موجبات العقاب، فهذا الطريق يوجب عليكم أن تتركوا هذه الثغرة، وأن ترجعوا إلى النظر والإستدلال فإن دلّ الدليل على صحته قبلتموه، وإن دلّ على فساده تركتموه، فأما قبل الدليل فالإصرار على الدفع والإعراض بعيد عن العقل(66).

مناسبة الدليل في الآية: يتبين للباحث مما سبق أن مناسبة الدليل في الآية الكريمة يظهر من عدة وجوه:

- الأول: كانت السورة في معرض بيان الأدلة على أن القرآن من عند الله تعالى وأن النبي(ﷺ) صادق في تبليغ هذا القرآن وأنه ليس من عند نفسه من خلال آيات بينات مفصلات. حيث أظهرت هذه الآية الكريمة مدى ضلال المشركين وتكبرهم وإعراضهم عن الحق.
- الثاني: تبين من هذه الآية الكريمة كيف أن الله تعالى وجّه النبي(ﷺ) إلى تنبيه المشركين وإيقاظهم من غفلتهم من خلال دعوتهم إلى الرجوع إلى أنفسهم وإعمال عقولهم ليتفكروا في هذا القرآن وما جاء به من آيات بينات في الآفاق وفي أنفسهم، وأن عليهم إعمال العقل في النظر والإستدلال قبل رفضهم وتكبرهم وبعدهم عن الحق.
- الثالث: إظهار مدى بعد المشركين والكفار عن التفكير والعقلانية، وإتباع الشهوات وحب الرياسة وملذات الحياة الدنيا حتى عميت بصيرتهم وغلبت شِقوتهم حتى كانوا أبعد ما يكون عن الحق وسبيل الرشاد.
- الرابع: أن فصاحتهم ورجاحة عقولهم إنما هي حجّة عليهم يوم القيامة لأنهم عرفوا الحق فزاغوا عنه واتبعوا ما تمليه عليهم رغباتهم وحبهم للدنيا على كثرة ووضوح الأدلة والآيات البينات.

الآية الرابعة قوله تعالى: (قُل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القومَ الظالمين) [الأحقاف: 10]:

إن الآيات التي سبقت هذه الآية بينت عدد من الأدلة التي تثبت صدق إدعاء النبي(ﷺ) أن هذا القرآن وحي نزل به الملك عليه، وفي هذه الآية أعيد الأمر بأن يقول لهم حجة أخرى لعلها تردهم إلى الحق،...، وهذا استدراج لهم للوصول إلى الحق في درجات النظر، فقد بادأهم بأن ما أحالوه من أن يكون رسولا من عند الله ليس بمحال إذ لم يكن أول الناس جاء برسالة من الله، ثم أعقبه بأن القرآن إذا فرضنا أنه من عند الله وقد كفرتم بذلك كيف يكون حالكم عند الله تعالى، وأقحم في هذا أنه لو شهد شاهد من أهل الكتاب بوقوع الرسالات ونزول الكتب على الرسل وآمن برسالتي، كيف يكون انحطاطكم عن درجته وقد جاءكم كتاب فأعرضتم عنه(67).

والمعنى: قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به، واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله وإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به، ألستم أضل الناس وأظلمهم[68]. فإن توجيه الشاهد في الآية هو: أن المشركين كانت لهم مخاطة مع بعض اليهود في مكة ولهم صلة بكثير منهم في التجارة بالمدينة وخيبر، فلما ظهرت دعوة النبي(ﷺ) كانوا يسألون من لقوه من اليهود عن أمر الأديان والرسل، فكان اليهود لا محالة يخبرون المشركين ببعض الأخبار عن رسالة موسى(عليه السلام) وكتابه وكيف أظهره الله على فرعون. فاليهود وإن كانوا لا يقرون برسالة مُحَمَّد(ﷺ) فهم يتحدثون عن رسالة موسى(عليه السلام) بما هو مماثل لحال النبي(ﷺ) مع قومه وفيه ما يكفي لدفع إنكارهم رسالته[69]. والآية جاءت في محاجة المشركين، ووجه الحجة أنهم كانوا يراجعون اليهود في أشياء، أي شهادتهم لهم وشهادة نبيهم لي من أوضح الحجج، ولا يبعد أن تكون السورة في محاجة اليهود[70]. وكذلك دلّت الآية على إنذار المشركين الظالمين بعذاب أليم إذا استمروا في تكذيبهم بالقرآن وتكبروا عن الإيمان بع وعن إتباعه وطاعة الرسول المنزل عليه بالرغم من شهادة رجل منصف عارف بالتوراة بأن القرآن حق،... فهذه الآية بشارة بالنبي(ﷺ) في التوراة وعلى لسان موسى(عليه السلام) ولسان علماء بني إسرائيل، فهي كبشارة عيسى(عليه السلام) بمحمد(ﷺ) قال تعالى: (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مُصدّقا لما بين يديّ من التوراة ومُبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلمّا جاءهم بالبينات قالوا هذا سِحر مُبين)[الصف: 6][71].

أما ذكر الشاهد في الآية ففيه للعلماء وجهان:

- الأول: ما أخرجه البخاري عن عامر بن سعد ابن أبي وقاص عن أبيه قال: ما سمعت النبي(ﷺ) يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام[72]. قال: وفيه نزلت هذه الآية (وشهِد شاهد من بني إسرائيل على مِثله)[73]. وأخرج مسلم عن عامر بن سعد قال: سمعت أبي يقول: ما سمعت رسول الله(ﷺ) يقول لحي يمشي إنه في الجنة إلا لعبد الله بن سلام[74].
- الثاني: الشاهد في الآية: ليس المراد منه شخصا معينا بل المراد منه أن ذكر مُحَمَّد(ﷺ) موجود في التوراة والبشارة بمقدمه حاصلة فيها، فتقدير الكلام لو أن رجلا منصفا عارفا بالتوراة أقر بذلك وأعترف به، ثم إنه آمن بمحمد(ﷺ) وأنكرتم، ألستم كنتم ظالمين لأنفسكم ضالين عن الحق[75].

مناسبة الدليل في الآية: يتبين للباحث مما سبق أن مناسبة الدليل في الآية الكريمة يظهر من عدة وجوه:

- الأول: أن أسلوب الدليل في الآية يعتمد على الجمع بين أمرين: الأول: هو إعراضهم عن القرآن بدون نظر وتمحيص ولا دليل. الثاني: شهادة رجل من بني إسرائيل على مثل ما جاء به الرجل فيكم، ألا يدل ذلك

لذي العقول على صدق النبي(ﷺ) وصحة ما أخبركم به، فإن أعرضتم على الرغم من ذلك فلا يوجد أضل منكم وإنكم قد ظلمتم أنفسكم بإعراضكم.

- الثاني: أن إعراض الكفار والمشركين إنما كان إستكبارا منهم عن قبول الدليل، وإلا فإنهم على علم بأخبار اليهود ودينهم وذلك من وجهين، الأول: أن اليهود كانوا يبشرون بظهور نبي زمانهم ويتكلمون عن صفاته، فلما بُعث كفروا به وما آمن إلا قليل، وكان العرب من قريش يعرفون ذلك بدليل قوله تعالى: (ولما جاءهم كتاب من عند الله مُصدق لما معهم وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم مّا عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) [البقرة: 89].الثاني: أن أهل مكة كانوا يسألون اليهود عن دينهم وكتابهم ونبيهم وكان لهم مع اليهود صلة وتجارة، فلم يكن أمر دعوة النبي غريبا عنهم، فلذلك لزمتهم الحجة فاستكبروا وأعرضوا.
- الثالث: كشفت الآيات البينات والأدلة المتوالية عن ظلم المشركين لأنفسهم وأنهم ابتعدوا وزاغوا عن الصواب كبرا وأنفة فأستحقوا الطرد من قبل الله تعالى عن طريق الهداية لأن الله لا يهدي القوم الظالمين.

الآية الخامسة قوله تعالى: (قُل أرأيتم إن أهلكنيَ الله ومن معي أو رحمنا فمن يُجير الكافرين من عذاب أليم) [الملك:28]: بعد أن أورد الله تعالى البرهان الأول على كمال قدرته وهو المتمثل بقوله: (أوَلم يروا إلى الطير فوقهم صافّات ويقبض ما يُمسكهنّ إلا الرحمن إنّه بكل شيء بصير)[الملك:19]، ثم أورد برهانان آخران المتمثلان بقوله تعالى: (قُل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا مّا تشكرون.قُل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون)[الملك:23،24]، ثم ذكر الله تعالى أمرين قالهما المشركون وهما تعيين وقت العذاب متمثلا بقوله: (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)[الملك: 25]، فكان جواب النبي(ﷺ) متمثلا بقوله تعالى: (قُل إنّما العلم عند الله وإنّما أنا نذير مبين)[الملك:26]، يروى أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله(ﷺ) وعلى المؤمنين بالهلاك كما قال تعالى: (أم يقولون شاعر نّتربص به ريب المنون)[الطور:30]، وقوله: (بَل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزُيّن ذلك في قلوبكم وظننتم ظنّ السَوء وكنتم قوما بورا)[الفتح:12]، ثم أنه تعالى أجاب عن ذلك من وجهين، الوجه الأول: هو هذه الآية، والمعنى: قل لهم إن الله تعالى سواء أهلكني بالإماتة أو رحمني بتأخير الأجل، فأي راحة لكم في ذلك، وأي منفعة لكم فيه، ومن الذي يجيركم من عذاب الله إذا نزل بكم، أتظنون أن الأصنام تجيركم أو غيرها، فإذا علمتم أن لا مجير لكم فهلا تمسكتم بما يخلصكم من العذاب وهو العلم بالتوحيد والنبوة والبعث.

الوجه الثاني: في الجواب قوله تعالى: (قُل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مُبين)[الملك:29]، والمعنى أنه الرحمن آمنا به وعليه توكلنا، فيعلم أنه لا يقبل دعائكم وأنتم أهل الكفر والعناد في حقنا مع أنا آمنا به ولم نكفر به كما كفرتم، ثم قال:(وعليه توكلنا) لا على غيره كما فعلتم أنتم حيث توكلتم على رجالكم وأموالكم[76].

مناسبة الدليل في الآية الكريمة: يتبين للباحث مما سبق أن مناسبة الدليل في الآية الكريمة يظهر من عدة وجوه:

- الأول: أن الله تعالى يدعوهم إلى الرجوع إلى أنفسهم والتفكير في حالهم من أي الفريقين أنتم وقد أنعم الله عليكم بنعمة السمع والبصر والرزق، وواقع حالكم هو الإعراض والكبر والكفر.
- الثاني: ما النفع الذي يعود إليكم من دعائكم على النبي(ﷺ) والمؤمنين بالهلاك وأنتم تعلمون أنكم هالكين لا محالة.
- الثالث: ما الذي دفعكم إلى الأمن من عذاب الله وأنتم هذا حالكم من الكفر والإعراض عن دين الله ورسوله، وقد رأيتم آيات الله ومعجزاته بأم أعينكم، فمن أحق بالأمن من عذاب الله تعالى أنتم أم من آمن؟

المطلب الثاني: بيان الآيات الدالة على الصانع من خلال اختلاف الليل والنهار:

ت	الآية	رقمها
1	يونس	50
2	القصص	71
		72

الآية الأولى قوله تعالى: (قُل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون) [يونس:50]

إن أحد شبهات منكري النبوة من المشركين هو عندما يتوعدهم النبي(ﷺ) بالعذاب ولا يقع، يقولون لو كان حقا لوقع ما تعدنا به.وهذه الآية هي الجواب الثاني لقول المنكرين: (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)[يونس:48]، فحاصل هذا الجواب: أن هذا الذي تطلبونه هو محض الضرر العاري عن جهات النفع والعاقل لا يفعل ذلك[77]. وإن بلاغة القرآن تظهر بجلاء هنا حيث: أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فزعا من مجيئه، وإن أبطأ فضلا أن يستعجله[78]. ومن بلاغة الألفاظ قوله تعالى: (بياتا) أي وقت بيات وهو الليل وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون، (أو نهارا) وأنتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب[79]. وهو نظير قوله:(بغتة) لأن العذاب إذا فاجأ من غير شعور به كان

أشد وأصعب بخلاف أن يكون قد استعد له وتهيء لحلوله، وهذا كقوله تعالى: (أفأمِن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون.أوَ أمِن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضُحى وهم يلعبون)[الأعراف:97،98](80).

ووقع في هذا الجواب تفنن في تخيل التهويل لهذا العذاب الموعود تخييلا يناسب تحقق وقوعه، فإن هذين الوقتين لا يخلو حلول الحوادث عن أحدهما على أنه ترديد لمعنى العذاب العاجل تعجيلا قريبا أو أقل قربا، أي أتاكم في ليل هذا اليوم الذي سألتموه أو في صبيحته(81). وهذا ليس حال النبي(ﷺ) مع قومه بل حال الأنبياء كلهم مع أقوامهم، فإنه تعالى أرسل لكل أمة من الأمم الخالية رسولا يدعوهم إلى الإيمان بالله واليوم الآخر والى العمل الصالح مناط النجاة في الآخرة،... فإذا جاء رسولهم إليهم بالبينات فكذبوه قضى الله بينه وبينهم بالعدل فيعذبون وينجي الله رسوله ومن صدقه وهم لا يظلمون في قضائه شيئا مما ينزل بهم من عذاب فلن يكون عذاب بغير ذنب إرتكبوه(82).

مناسبة الدليل في الآية الكريمة: يتبين للباحث مما سبق أن مناسبة الدليل في الآية الكريمة يظهر من عدة وجوه:

- الأول: أن المذنب صاحب الجرم العظيم من شأنه بنظر العقلاء أن يستبعد العقوبة ويؤخرها قدر استطاعته هربا من الحساب والفضيحة، وهذا بخلاف ما أراده المشركون من النبي(ﷺ)، ما يثبت تجردهم من العقل والحكمة ويثبت كفرهم وعنادهم واستكبارهم.
- الثاني: أن الجواب عن سؤالهم (متى يقع العذاب) جاء شديد الوقع على قلوبهم وتسفيها لعقولهم، بأن العذاب سيأتيكم بغتة وهم غير مدركين ولا مستعدين له إما حال نومكم وراحتكم أو حال شغلكم وانشغالكم. فلا تستطيعون ردّه أو الهرب منه.
- الثالث: إذا كانت غايتكم من استعجال العذاب أن تؤمنوا إذا وقع، فهذا إيمان باطل لأنه إيمان وقع عند الإلجاء والقسر فلا يورث إلا الحسرة والندامة ثم يعقبه عذاب أشد وأنكا خالدين فيه، فماذا تستعجلون منه، ثم يقرن بهذا العذاب كلام يدل على الإهانة والتحقير وهو قوله تعالى: (ثُمّ قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخُلد هل تُجزون إلا بما كنتم تكسبون)[يونس:52].

الآيتان الثانية والثالثة قوله تعالى: (قُل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون. قُل أرأيتم إن جعل الله عليكم النّهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) [القصص:71،72]: هذه الآيات تدل على وحدانية الله تعالى من خلال بديع صنعه، فإن الليل والنهار وتعاقبهما إنما آيات مسخرات تدل على إله خالق مدبر، وكذلك تدل على الفضل والمنة على الإنسان لما فيها صلاح حياته واستمرارها. وهو من أبدع أنواع الاستدلال حيث: الصنع العجيب المتكرر كل يوم مرتين والذي يستوي

في إدراكه كل مميز والذي هو أجلى مظاهر التغيير في العالم فهو دليل الحدوث،...، وكان الاستدلال بتعاقب الضياء والظلمة على الناس أقوى وأوضح من الاستدلال بتكوين أحدهما لو كان دائما، لأن قدرة خالق الضدين وجاعل أحدهما ينسخ الآخر كل يوم أظهر منها لو لم يخلق إلا أقواهما وأنفعهما[83]. بين سبحانه أنه مهد أسباب المعيشة ليقوموا بشكر نعمه، (من إله غير الله يأتيكم بضياء) أي بنور تطلبون فيه المعيشة، وقيل: بنهار تبصرون فيه معايشكم وتصلح فيه الثمار والنبات. (أفلا تسمعون) سماع فهم وقبول.(من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون) أي تستقرون فيه من النصب.(أفلا تبصرون) ما أنتم فيه من الخطأ في عبادة غيره ، فإذا أقررتم بأنه لا يقدر على إيتاء الليل والنهار غيره فَلِمَ تُشركون به[84]. يقول صاحب تفسير الكشاف: فإن قلت: هلّا قيل: بنهار تتصرفون فيه كما قيل: بليل تسكنون فيه؟ قلت: ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده. والظلام ليس بتلك المنزلة، ومن ثمة قَرَنَ الضياء بـ(أفلا تسمعون) لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده، وقَرَنَ بالليل (أفلا تبصرون) لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما لا تبصره أنت من السكون ونحوه[85].

إن تعاقب الليل والنهار دليل على عظمة الله وقوة سلطانه وتوحيده، وهو أيضا نعمة ورحمة بالمخلوقات جميعا،...، وتلك النعمة تستوجب الشكر وتستحق حمد الله على الدوام، ويكون الشكر بأنواع العبادات في الليل والنهار، ومن فاته شيء بالليل استدركه بالنهار أو بالنهار استدركه بالليل[86]. أما الإستفهام في (أرأيتم) تقريري[أي أخبروني] والإستفهام في (من إله غير الله يأتيكم) إنكاري[أي لا يوجد إله غير الله يأتيكم]، وهم معترفون بهذا الإنتفاء وأن خالق الليل والنهار هو الله تعالى لا غيره. والمراد بالغاية في قوله:(إلى يوم القيامة) إحاطة أزمنة الدنيا وليس المراد إنتهاء جعله سرمدا[87].

مناسبة الدليل في الآيتين: يتبين للباحث مما سبق أن مناسبة الدليل في الآية الكريمة يظهر من عدة وجوه:

- الأول: أخبروني أيها المشركون إن أصبح يومكم ليل طويل دائم أيُ آلهتكم يستطيع أن يأتيكم بضياء تكسبون فيه منافع لكم ولأنعامكم، أفلا تسمعون صوت العقل الذي يدعوكم إلى توحيد الله والكفر بالأصنام التي تعبدون. أو إن أصبح يومكم نهار طويل دائم هل تستطيع آلهتكم أن تأتيكم بليل يذهب بعنائكم وتعبكم وتسكنون فيه وتريحون أجسامكم أفلا تبصرون بعين العقل عجز هذه الأصنام، وسوء اختياركم لما تعبدون من دون الله.
- الثاني: وجّه الله تعالى النبي(ﷺ) إلى إخراج المشركين من دائرة قواهم البشرية وسلطتهم في الأفراد والأموال إلى دائرة السلطة الكونية، فإن كان لأصنامكم كما تزعمون قوة فاعلة مؤثرة في أحوالكم ومنافعكم، فما

تصنع هذه الأصنام إن غابت الشمس ولم تشرق، فكيف تؤثر أصنامكم لإصلاح أحوالكم، كذلك إن أشرقت الشمس ولم تغرب فهل لأصنامكم قوة مؤثرة لأجل منافعكم.

- الثالث: أن كل واحد من الليل والنهار يصير بمجيء الآخر مغلوبا فلولا قَهرُ قاهِرٍ وتدبير ندبر لامتنع أن يصير الغالب مغلوبا والمغلوب غالبا، وهذا يدل على أن لهما محدثا واحدا، فيه أيضا دلالة على البعث والنشور: لأن الليل يأتي على النهار فيتغلب عليه حتى لا يبقى من أثر النهار شيء، ثم النهار يأتي على الليل فينقله حتى لا يبقى من أثر الليل شيء، ثم إنهما بقيا على هذا التعاقب دائما، فلما قدّر المدبر سبحانه على إعادة الذي ذهب وبطل، دلّ ذلك على أنه قادر على إعادة من أماته وأفناه وإن لم يبق له أثر(88).

المطلب الثالث: بيان الآيات الدالة على الصانع من خلال السماوات والأرض وأحوالهما

ت	الآية	رقمها
1	فاطر	40
2	الأحقاف	4
3	الملك	30

الآية الأولى: (قُل أرأيتم شُركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شِرك في السماوات أم آتيناهم كتابا فهم على بينت منه بل إن يعدُ الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا)[فاطر:40]

في هذه الآية: تقرير للتوحيد وإبطالا للإشراك،...، فلما قال: (أرأيتم) يعني أعلمتم هذه التي تدعونها كما هي وعلى ما هي عليه من العجز أو تتوهمون فيها قدرة، فإن كنتم تعلمونها عاجزة فكيف تعبدونها؟ وإن كان وقع لكم أن لها قدرة فأروني قدرتها في أي شيء هي، أهي في الأرض، كما قال بعضهم: إن الله إله السماء وهؤلاء آلهة الأرض، وهم الذين قالوا: أمور الأرض من الكواكب والأصنام صورها. أم هي في السماوات كما قال بعضهم: إن السماء خلقت باستعانة الملائكة والملائكة شركاء في خلق السماوات وهذه الأصنام صورها. أم قدرتها في الشفاعة لكم؟ كما قال بعضهم: إن الملائكة ما خلقوا شيئا ولكنهم مقربون عند الله فنعبدها ليشفعوا لنا، فهل من كتاب من الله فيه إذنه لهم بالشفاعة. وقوله:(أم آتيناهم كتابا) في العائد إليه الضمير وجهان: أحدهما: أنه عائد إلى الشركاء أي هل آتينا الشركاء كتابا. وثانيهما: أنه عائد إلى المشركين، أي هل آتينا المشركين كتابا، وعلى الأول فمعناه ما ذكرنا، أي هل مع ما جعل شريكا كتاب من الله فيه أن له شفاعة عند الله.فإن أحدا لا يشفع عنده إلا بإذنه. وعلى الثاني معناه: أن عبادة

هؤلاء إما بالعقل ولا عقل لمن يعبد من لم يخلق من الأرض جزءا من الأجزاء، ولا في السماء شيئا من الأشياء، وإما بالنقل ونحن ما آتينا المشركين كتابا فيه أمرنا بالسجود لهؤلاء ولو أمرنا لجاز كما أمرنا بالسجود لآدم والى جهة الكعبة. فهذه العبادة لا عقلية ولا نقلية فوعد بعضهم بعضا ليس إلا غرورا غرهم الشيطان وزين لهم عبادة الأصنام[89].

وبنيت الحجة على مقدمة مشاهدة إنتفاء خصائص الإلهية عن الأصنام، وهي خصوصية خلق الموجودات وإنتفاء الحجة النقلية بطريقة الإستفهام التقريري في قوله:(أرأيتم شركائكم) يعني: إن كنتم رأيتموهم فلا سبيل لكم إلا الإقرار بأنهم لم يخلقوا شيئا،...، والمراد بالشركاء: من زعموهم شركاء لله في الإلهية فلذلك أضيف الشركاء إلى ضمير المخاطبين أي الشركاء عندكم لظهور أن ليس المراد أن الأصنام شركاء مع المخاطبين بشيء فتمخضت الإضافة لمعنى مدعيكم شركاء لله. وقرينة التخطئة تعقيبه بقوله:(أروني ماذا خلقوا من الأرض) فإنه أمر للتعجيز إذ لا يستطيعون أن يروه شيئا خلقه الأصنام، فيكون الأمر التعجيزي في قوة نفي أن خلقوا شيئا ما. وفعل الرؤية قلبي بمعنى الإعلام والإنباء، أي أنبؤني شيئا مخلوقا للذين تدعون من دون الله في الأرض[90].

(بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا) أي: بل إنما اتبعوا في ذلك أهوائهم وآرائهم وأمانيهم التي تمنوها لأنفسهم، وهي كلها غرور وباطل وزور،...، وذلك قولهم: إن هذه الآلهة تنفعهم وتقربهم إلى الله وتشفع لهم عنه. وبعد بيان ضعف الأصنام وعجزها عن أي شيء، أبان الله تعالى ما يؤهله للعبادة ويجعله أهلا للعظمة فقال مبينا قدرته وبديع صنعته: (إنّ الله يمسك السماوات والأرضَ أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما مِن أحد من بعده إنه كان حليما غفورا)[فاطر:41][91].

مناسبة الدليل في الآية: يتبين للباحث مما سبق أن مناسبة الدليل في الآية الكريمة يظهر من عدة وجوه:

- الأول: أن الإله الذي يستحق العبادة لا بدّ وأن يكون له أثر معجز فوق مقاييس الإنسان ليكون دليلا وبينة تدعو إلى الإنقياد لعبادته والرضوخ لسطوته، ومن ذلك قدرة الخلق، فوجه الله تعالى النبي(صلى الله عليه وسلم) ليخاطبهم ويطلب من مشركي مكة دليل الخلق، فقال لهم: أروني ماذا خلق أصنامكم ولو جزءا صغيرا من الأرض. أم أن لأصنامكم شركة مع الله في خلق السماوات وأحوالها، أم أنزل الله عليكم كتابا يشهد لكم بعبادة الأصنام أو أنها شركاء الله تعالى الله علوا كبيرا.
- الثاني: توجيه الله تعالى للنبي(ﷺ) بأن يُلزم المشركين حجتهم ، أي كما كانوا يطلبون من النبي أن ينزل الله عليهم جزءا من السماء أو أن يفجر لهم من الأرض ينبوعا أو معجزة يرونها، يقول الله تعالى: قل لهم يا مُحَمَّد: أروني الذي تستطيعه أصنامكم من خلق شيء من الأرض أو أظهروا لنا كتابا يشهد لكم بما تدعون. أي مقابلة الدليل بالدليل لإظهار عجز المشركين وضلالهم وسفاهة آلهتهم.

- الثالث: إظهار عجز هذه الأصنام وضعفها يدل على أن المشركين إنما يتبعون أهوائهم وآرائهم وأمانيهم بدافع الغرور والتكبر، وهذا هو الضلال المبين.

الآية الثانية قوله تعالى: (قُل أرأيتم مّا تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شِرك في السماوات إئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين)[الأحقاف:4]

إن صدر هذه الآية يطابق صدر الآية الأولى من هذه المجموعة وقد تقدم الكلام حولها، وإنما الفارق في عجز الآية وهو كما يلي: (بكتاب من قبل) أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني: أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك، فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله. (أو أثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين[92].

(إئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم) وتقرير هذا الجواب أن ورود هذا الأمر لا سبيل إلى معرفته إلا بالوحي والرسالة، فنقول:...، إما إثبات ذلك بالوحي إلى مُحَّد(ﷺ) فهو معلوم البطلان، وإما إثباته بسبب اشتمال الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء المتقدمين عليه فهو أيضا باطل، لأنه علم بالتواتر الضروري إطباق جميع الكتب الإلهية على المنع من عبادة الأصنام. وهذا هو المراد من قوله تعالى: (إئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم). وأما إثبات ذلك بالعلوم المنقولة عن الأنبياء سوى ما جاء في الكتب ، هذا أيضا باطل، لأن العلم الضروري حاصل بأن أحدا من الأنبياء ما دعا إلى عبادة الأصنام، وهذا هو المراد من قوله: (أو أثارة من علم)، ولما بطل الكل ثبت أن الإشتغال بعبادة الأصنام عمل باطل وقول فاسد[93]. ثم إنتقل من الإستدلال بالمشاهدة وبالإقرار إلى الإستدلال بالأخبار الصادقة بقوله: (إئتوني بكتاب من قبل هذا)،...، ومناط الإستدلال أنه استدلال على إبطال دعوى المدعي بإنعدام الحجة على دعواه، ويسمى الإفحام، والمعنى: نفي أن يكون لهم الحجة على إلهية الأصنام لا بتأثيرها في المخلوقات، ولا بأقوال الكتب، فهذا قريب من قوله: (أم آتيناهم كتابا فهم على بينت منه)[فاطر:40]، والمراد بـ(كتاب) أي كتاب من الكتب المقروءة، وهذا قاطع لهم فإنهم لا يستطيعون إدعاء أن لأصنامهم في الكتب السابقة ذكرا غير الإبطال والتحذير من عبادتها،...، ووجه تخصيص الكتاب بوصف أن يكون من قبل القرآن ليسد عليهم باب المعارضة بأن يأتوا بكتاب يُصنع لهم، كما قالوا: (لو نشاء لقلنا مِثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين)[الأنفال:31]، و(أثارة) بفتح الهمزة: البقية من الشيء، والمعنى: أو بقية بقيت عندكم تروونها عن أهل العلم السابقين غير مسطورة في الكتب. وهذا توسيع عليهم في أنواع الحجة ليكون عجزهم عن الإتيان بشيء من ذلك أقطع لدعواهم. وفي قوله: (إن كنتم صادقين) إلهاب وإفحام لهم بأنهم غير آتين بحجة لا من جانب العقل ولا من جانب النقل المسطور أو المأثور، وقد قال تعالى في سورة القصص: (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم)[الآية:50][94].

قوله تعالى: (إئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم) فيه بيان مسالك الأدلة بأسرها، فأولها المعقول وهو قوله تعالى: (قُل أرأيتم مّا تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شِرك في السماوات)، وهو احتجاج بدليل العقل في أن الجماد لا يصح أن يدعى من دون الله فإنه لا يضر ولا ينفع. ثم قال: (إئتوني بكتاب من قبل هذا) فيه بيان أدلة السمع، (أو أثارة من علم)(95).

مناسبة الدليل في الآية: يتبين للباحث مما سبق أن مناسبة الدليل في الآية الكريمة يظهر من عدة وجوه:

- الأول: إثبات عدم قدرة المشركين على مجارات الأدلة التي تبين مدى كفرهم وطغيانهم واستحواذ أهوائهم وحب الدنيا عليهم بفعل الشيطان.
- الثاني: أنه بذكر هذه الحجج الثلاثة: خلق شيء من الأرض أو ممن عليها والشركة في السماوات و الكتاب، أنه بذكرها سدّ على المشركين كل أبواب الحجج العقلية والنقلية التي قد يتعللون بها لإثبات صحة عبادتهم للأصنام أو ما يتوهمونه منها.

الآية الثالثة قوله تعالى: (قُل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غَورا فمن يأتيكم بماء معين) [الملك:30]

والمقصود أن يجعلهم مقرين ببعض نعمه ليريهم قبح ما هم عليه من الكفر، أي أخبروني إن صار ماؤكم ذهابا في الأرض فمن يأتيكم بماء معين، فلا بد وأن يقولوا هو الله، فيقال لهم حينئذ: فلم تجعلون من لا يقدر على شيء أصلا شريكا له في المعبودية، وهو قوله: (أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون)[الواقعة:69]. وقوله: (غَورا) أي غائرا ذاهبا في الأرض، يقال غار الماء يغور غورا إذا نضب وذهب في الأرض،...، و(معين) الظاهر الذي تراه العيون،...، وقيل المعين الجاري من العيون من الإمعان في الجري كأنه قيل ممعن في الجري(96). وكان ماؤهم من بئرين: بئر زمزم وبئر ميمون،...، وعن ابن عباس: (بماء معين) أي ظاهر تراه العيون فهو مفعول. وقيل: هو من معن الماء أي كثر فهو على هذا فعيل، وعن ابن عباس أيضا: أن المعنى فمن يأتيكم بماء عذب(97).

مناسبة الدليل في الآية: يتبين للباحث مما سبق أن مناسبة الدليل في الآية الكريمة يظهر من عدة وجوه:

- الأول: بيان أن من يستحق العبادة هو المنعم المتفضل بنعمه على مخلوقاته وهو وحده القادر على الإنعام بها دون غيره.
- الثاني: لفت أنظارهم إلى سرّ بقائهم ودوام حياتهم وحيات دوابهم، وهو الماء ومناسبة ذلك أن مكة يعز فيها الماء، لذلك فهو عزيز وحاجة ملحة. فمن المتحكم بوجوده من عدمه أليس الله المنعم به وليس أصنامكم.

- الثالث: أن دوام النعمة يتأتى من شكرها، وأن شكر النعمة هو الإعتراف بعبوديتهم لله وحده المنعم عليهم بسرّ حياتهم وهو الماء.

المبحث الثالث: الإستنتاجات والتوصيات

أولاً: الإستنتاجات: فإن أهم الاستنتاجات التي خرج بها الباحث تتلخص بما يلي:

- كان الأسلوب المستخدم في الآيات قيد البحث هو أسلوب الإستفهام التقريري والإستفهام الإنكاري، بحسب حال الكفار والمشركين وبحسب الموضوع.
- كانت الأدلة المطروحة في الآيات الكريمة تدور حول ثلاث محاور، الأول: الإنسان نفسه وما يعتريه من أحوال وما يملكه من نعمة العقل والحواس التي يستطيع بها التمييز بين الحق والباطل ومعرفة المنعم والمتفضل بهذه النعم. الثاني: ظاهرتي الليل والنهار وتقلبهما وكيف يكون أحدهما مغلوب والآخر غالب ثم العكس، والتي لها علاقة باستمرار واستقامة حياة الإنسان. الثالث: السماوات والأرض وأحوالها التي تمثل البيئة التي يحتاجها الإنسان للعيش والتي تمثل الأثر البين لوجود الخالق ﷻ.
- من خلال الآيات قيد البحث وجد الباحث أن الأدلة العقلية والنقلية قد استخدمت واستدل بها.
- هنالك علاقة وثيقة بين ثلاثة أطراف الأول صاحب الدعوة والثاني المدعو والثالث الدليل بما يناسب حال المدعو وبيئته الطبيعية، والتي إذا ما توفرت فإن النتيجة ستكون ناجحة بلا ريب.

ثانياً: التوصيات:

- الإهتمام العميق بالدراسات القرآنية التي تدرس المصطلحات والألفاظ القرآنية لما لها من أهمية في فهم النص القرآني بما يتلائم ومتطلبات العصر.
- توجيه الدراسات العليا والباحثين إلى تفعيل دراسة النص القرآني باعتبار دلالة ألفاظه المصطلحية اعتمادا على المراجع ذات العلاقة.
- تأهيل من تسنم مهمة الدعوة بالأدوات اللازمة لمواكبة مختلف مستويات العقول، ولتمكينهم من التصدي للظواهر الحديثة في المجتمعات المسلمة أمثال ظاهرة الإلحاد وغيرها.

الهوامش:

(1) الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، ط2 1425هـ، ج1 ، ص 591 .

(2) الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، ط2 1425هـ، ج1 ، ص 590 .ينظر كذلك:

الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط 2011م، ص 1075 .

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ط 2008م، ص 330 .

(4) الكفوي، كتاب الكليات، ط2 ، 2011م ، ص 365 .

(5) الجرجاني، التعريفات، ط3 2009م، ص 108 .

(6) الكفوي، كتاب الكليات، ط2 ، 2011م ، ص 365.

(7) الكفوي، كتاب الكليات، ط2 ، 2011م ، ص365-366 .

(8) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط5 2007م ، ص 177 .

(9) الجرجاني، التعريفات، ط3 2009م، ص 108 .

(10) الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، ط2 1425هـ، ج1 ، ص 590 .

(11) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ط 2008م، ص 654-655 .

(12) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط 2011م، ص 316 -317.

(13) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط5 2007م ، ص 344 .

(14) الجرجاني، التعريفات، ط3 2009م، ص 155 .

(15) الكفوي، كتاب الكليات، ط2 ، 2011م ، ص 540 .

(16) الجرجاني، التعريفات، ط3 2009م، ص 155 .

(17) الدكتور رشدي عليان والدكتور قحطان الدوري، أصول الدين الإسلامي، ط4 1990م، ص 17 .

(18) الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، ط2 1425هـ، ج1 ، ص 637 .

(19) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ط 2008م، ص 415 . ينظر كذلك:

الكفوي، كتاب الكليات، ط2 ، 2011م ، ص 396 .

(20) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ط 2008م، ص 415 .

(21) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط5 2007م ، ص 190 . ينظر كذلك:

البلخي، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ط2008م، ص 98-99 .

الدينوري، تأويل مشكل القرآن، ط2002م، ص 271 .

الجرجاني، التعريفات، ط3 2009م، ص 112 .

الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط 2011م، ص 1386 .

(22) الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، ط2 1425هـ، ج1 ، ص 637- 739 . ينظر كذلك:

الكفوي، كتاب الكليات، ط2 ، 2011م ، ص 396- 397 .

(23) البلخي، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ط2008م، ص 98 . ينظر كذلك:

الدينوري، تأويل مشكل القرآن، ط2002م، ص 271 .

الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط5 2007م ، ص 190 .

(24) الكفوي، كتاب الكليات، ط2 ، 2011م ، ص 397 .

(25) البلخي، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ط2008م، ص 99 .

(26) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط5 2007م ، ص 190 .

(27) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط 2011م، ص 1386 .

(28) البلخي، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ط2008م، ص 99 .

(29) الدينوري، تأويل مشكل القرآن، ط2002م، ص 271 .

(30) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط 2011م، ص 1386 .

(31) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط 2012م، مج2،ج4، ص 1050 .

(32) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط5 2007م ، ص 190 .

(33) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط 2012م، مج2،ج4، ص 1050 .

(34) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط3 1992م، ص 114- 115 .

(35) الكحيل، برنامج إحصاء القرآن، برنامج حاسوبي.

(36) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط2001م ، ص173- 175 .

(37) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج3، ج7، ص 122 .

(38) الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ط4 2013م ، مج6، ج12، ص 117 .

(39) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2009م، مج3، ص 531 .

(40) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج5، ج11، ص 78 .

(41) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج8، ج20، ص 62 .

(42) الزحيلي، التفسير المنير، ط9 2007م، مج10، ص 409- 410 .

(43) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج9، ج22، ص 247- 248 .

(44) الزحيلي، التفسير المنير، ط9 2007م، مج12، ص 503- 504 .
(45) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج9، ج24، ص 228- 229 .
(46) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج10، ج26، ص 6 .
(47) الزحيلي، التفسير المنير، ط9 2007م، مج13، ص 320 .
(48) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج12، ج29، ص 7- 8 .
(49) الزحيلي، التفسير المنير، ط9 2007م، مج15، ص 7 .
(50) الفخر الرازي، أسرار التنزيل وأنوار التأويل، ط 2011م ، ص 30 .
(51) الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب،ط4 2013م، مج6، ج12، ص 187 .
(52) الزحيلي، التفسير المنير، ط9 2007م، مج4، ص 213 .
(53) الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط3 2010م، ج4، ص 135 .
(54) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج3، ج7، ص 235 .
(55) الفخر الرازي، أسرار التنزيل وأنوار التأويل، ط 2011م ، ص 510 .
(56) الزحيلي، التفسير المنير، ط9 2007م، مج6، ص 216 .
(57) الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب،ط4 2013م، مج9، ج17، ص 92 .
(58) الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب،ط4 2013م، مج9، ج17، ص 96- 97.
(59) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج5، ج11، ص 208 .
(60) الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط3 2010م، ج5، ص 171 .
(61) الزمخشري، تفسير الكشاف، ط2 2005م، ص 467 .
(62) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج10، ج25، ص 162 .
(63) الزحيلي، التفسير المنير، ط9 2007م، مج13، ص 17 .
(64) الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط3 2010م، ج7، ص 482- 483 .
(65) الزمخشري، تفسير الكشاف، ط2 2005م، ص 972 .
(66) الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب،ط4 2013م، مج14، ج27، ص 119 .
(67) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج10، ج26، ص 18- 19 . ينظر كذلك:
الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب،ط4 2013م، مج14، ج28، ص 9 المسألة الأولى .
(68) الزمخشري، تفسير الكشاف، ط2 2005م، ص 1011 .
(69) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج10، ج26، ص 19 .

(70) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2009م، مج8، ص 367 .
(71) الزحيلي، التفسير المنير، ط9 2007م، مج13، ص 337- 338 .
(72) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ط2004م، ص 783- 784 .
(73) العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط2003م، ج7، ص 153، باب مناقب عبد الله بن سلام، حديث رقم: 3812.
(74) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ط4 بدون تاريخ، ج16، ص 41، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن سلام .
(75) الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب،ط4 2013م، مج14، ج28، ص 10 .
(76) الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب،ط4 2013م، مج15، ج29، ص 67 . ينظر كذلك:
الزمخشري، تفسير الكشاف، ط2 2005م، ص 1128 .
القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2009م، مج9، ص 339 .
ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج12، ج29، ص 51- 52 .
الزحيلي، التفسير المنير، ط9 2007م، مج15، ص 40- 41 .
النسفي، تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط2 2008م، ص 1265 .
(77) الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب،ط4 2013م، مج9، ج17، ص 88 . ينظر كذلك:
القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2009م، مج4، ص 485 .
(78) الزمخشري، تفسير الكشاف، ط2 2005م، ص 466 .
(79) الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب،ط4 2013م، مج9، ج17، ص 88 . ينظر كذلك:
النسفي، تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط2 2008م، ص 476 .
(80) الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط3 2010م، ج5، ص 166 .
(81) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج5، ج11، ص 193 .
(82) الزحيلي، التفسير المنير، ط9 2007م، مج6، ص 206 .
(83) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج8، ج20، ص 168- 169 .
(84) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2009م، مج7، ص 205.
(85) الزمخشري، تفسير الكشاف، ط2 2005م، ص 809. ينظر كذلك:
النسفي، تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط2 2008م، ص 878.
(86) الزحيلي، التفسير المنير، ط9 2007م، مج10، ص 524 .

(87) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج8، ج20، ص 169 .

(88) الفخر الرازي، أسرار التنزيل وأنوار التأويل، ط 2011م ، ص 377 .

(89) الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب،ط4 2013م، مج13، ج26، ص 29 . ينظر كذلك:
الزمخشري، تفسير الكشاف، ط2 2005م، ص 888.
القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2009م، مج7، ص 468 .
الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط3 2010م، ج7، ص 302- 303 .
النسفي، تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط2 2008م، ص 981 .

(90) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج9، ج22، ص 324- 325 .

(91) الزحيلي، التفسير المنير، ط9 2007م، مج11، ص 619 .

(92) الزمخشري، تفسير الكشاف، ط2 2005م، ص 1009 . ينظر كذلك:
الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط3 2010م، ج8، ص 59 .

(93) الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب،ط4 2013م، مج14، ج28، ص 5 . ينظر كذلك:
الزحيلي، التفسير المنير، ط9 2007م، مج13، ص 324 .

(94) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط بدون تاريخ، مج10، ج26، ص 10- 11 .

(95) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2009م، مج8، ص 364 .

(96) الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب،ط4 2013م، مج15، ج30، ص 67 . ينظر كذلك:
الزمخشري، تفسير الكشاف، ط2 2005م، ص 1128 .
الزحيلي، التفسير المنير، ط9 2007م، مج15، ص 42 .

(97) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2009م، مج9، ص 339 . ينظر كذلك:
النسفي، تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط2 2008م، ص 1265 .